مرحباً بميلاد النُّور

بسم الله الرحمن الرحيم

فليفرحوا:
الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبِهِ ومَنْ والاه، واتَّبع هداه، ثم أمَّا بعد:
فهذا شهر ربيع الأنور قد هلَّت علينا أنواره، وحلَّت علينا بركاته وأسرارُهُ، وهو الشهر الذي شرَّفَه الله تعالى بأن جعله زمانَ ميلادِ نور الأكوان وسيِّدِها، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِهِ.
فإن الأزمنة والأمكنة لا تشرف بذاتها، بل تشرف بما أودع الله تعالى فيها من الفضائل، وخصها به من المعاني، ولهذا نعظِّم شهر رمضان، ونصوم عاشوراء، ونفرح في العيدَيْنِ؛ لما أودعه الله تعالى في هذه الأيام المباركات من الفضائل، والمعاني، والنفحات..
وهذا الشهر الشَّريف قد منَّ الله تعالى علينا فيه بالمنَّة التي ترتبت عليها سائر المِنن، وأكرمنا فيه بالنِّعْمة التي جاءت من ورائها كلُّ النِّعَمْ، حيث أذِن الله تعالى لشمس النبوة أن تطلع، وقدَّر لنور الهداية أن يبزغ؛ فلولا ميلادُ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، ما كانت بعثته الشريفة، التي بها كانت الهداية من الضلالة، والعلم من الجهالة، واليقظة من الغفلة، فهي نعمٌ من وراء نعمٍ، وبذرة جميع النِّعَم هي لحظة بروز رحمة الله تعالى للعالمين، وظهوره، صلى الله عليه وآله وسلم، لهذا الوجود..
ولهذا يقول الحافظ ابن حجر:
.."وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي هو نبي الرحمة في ذلك اليوم. "
ولقد بيَّن الله تعالى هذا المعنى في قولِهِ تعالى:
﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾
فبيَّن الله تعالى أنَّه قد منَّ علينا ببعثة رسولٍ من أنفسنا، يتلو علينا آيات الله تعالى، ويزكي أنفسنا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، ويخرجنا من الضلال الذي كانت تهيم فيه الأرض من حولنا، فنصَّ تعالى على كون بعثته الشريفة إلينا مِنَّةً، ولولا لحظة الميلاد ما كانت هذه البعثة..
ومن الأوصاف التي عدَّدها القرآن الكريم لهذا النبي الكريم، الذي منَّ الله تعالى علينا بميلادِهِ وبعثتِهِ ما يقوله تعالى:
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
فإن الآية الأولى أوضحت أن بعثة الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، هي محض فضلٍ من الله تعالى، ولولا الميلاد ما كانت هذه المنَّة..
وإن الآية الثانية قد بيَّنَتْ أن رسولَ اللهِ، صلى الله عليه وآله وسلم، هو رحمةُ اللهِ تعالى للعالمين..
وإن الله تعالى يقول:
﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

فعلينا أن نفرح لأن بعثته فضل من الله، ولأنه تعالى قد أرسله رحمةً للعالمين..
ولقد فِهِمَ المسلمون هذا المعنى، فقاموا كلما حلَّ عليهم شهر ميلاد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، يحرصون على الفرح، والسرور، والبهجة، وتقديم الهدايا، وشراء الحلوى، والتوسعة على الأهل، وزيارة الأقارب، وتزيين بعض الطرقات، وإقامة الاحتفالات، إلى غيرها من المظاهر التي درَجَت عليها أمة الإسلام، والتي هي تطبيق لهذه الآية الكريمة ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾
واجب المسلمين تجاه هذه الشهر الشريف:
أدرك أهل العِلم عِظمَ المنة التي أكرمنا الله تعالى بها في هذا الشهر الكريم، فسطروا نصائحهم وتوجيهاتهم بتعظيم هذا الشهر الكريم، واحترامه، والإكثار فيه من القربات، والفضائل، وأرشدوا الناس إلى أن يُظْهِروا فيه ما يُفْهِمُ شكر الله تعالى على هذه النَّعمة الجليلة..
يقول ابن الحاج:
"فعلى هذا ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يُكرم، ويُعظَّم، ويُحترم الاحترام اللائق، إتباعاً له، صلى الله عليه وسلم، في كونه كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البرّ فيها وكثرة الخيرات. "
ويقول أيضاً:
.. "فعلى هذا فتعظيم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه، والصدقات، إلى غير ذلك من القربات.
فمن عجَزَ عن ذلك؛ فأقل أحوالِهِ أن يجتنب ما يحرم عليه ويكره له، تعظيماً لهذا الشهر الشريف، وإن كان مطلوباً في غيره، إلا أنه في هذا الشهر أكثر احتراماً، كما يتأكد في شهر رمضان، وفي الأشهر الحرم، فيترك الحدث في الدين، ويجتنب مواضع البدع وما لا ينبغي. "
ويقول الحافظ ابن حجر:
"وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة، والإطعام، والصدقة، وإنشاء شيءٍ من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير، والعمل للآخرة.
وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك، فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحًا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم، لا بأس بإلحاقِهِ به، وما كان حراماً أو مكروهاً فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى. "
مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي عند المسلمين:
وإنَّك لترى هذا في واقع المسلمين، الذي ظلَّ متوارثاً بينهم، يتعهده جيلٌ بعدَ جيلٍ حتى وصل إلينا، فتشعر عند قرب حلول شهر ربيعِ الأنور بالبهجة تملأ الشوارع، وبالناس من حولِكَ يتجهزون لشراء الحلوي، وترتيب الزيارات، يهنئ بعضهم بعضاً بحلول هذه الذكرى الكريمة، وتجلّي أنوار هذه الزمان المُعَظَّم..
بل بلغ من تعظيم المسلمين ليوم ميلاد نور الأكوان، صلى الله عليه وسلم: أن يمنحوا الصبيان إجازة؛ لأنه يوم سرورٍ وفرَحٍ..
يقول الكمال الإدفوي في (الطالع السعيد):
"وحكى لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد أن أبا الطيب محمد بن إبراهيم السبتي

المالكي نزيل قوص، أحد العلماء العاملين، كان يَجُوْز بالمكتب اليوم الذي ولد فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، فيقول: يا فقيه، هذا يوم سرور، اصرف الصبيان، فيصرفنا. "
بل بلغ تعظيم المسلمين لهذه المناسبة ما يفوق ذلك، فكانوا يقيمون الاحتفالات الكبيرة، ويطعمون الطعام الكثير، ويجمعون الناس لإحياء هذه الذكرى، وينشدون المدائح النبوية الشريف ..
ومِنْ ذلك ما يحْكَى عن الملك العادل الورع الزاهد المظفر ابن زين الدين ، أنه كان يقيم احتفالاً كبيراً هائلاً جداً؛ فرَحَاً بذكرى المولد النبوي الشريف، وتعظيماً لهذه الذكرى المباركة..
يقول سبط ابن الجوزي:
"وكان يعمل في كلِّ سنة مولد النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - في ربيع الأول، يجتمع فيه أهلُ الدُّنيا، ومن وراء جيحون العلماء والفقهاء والوُعَّاظ والقُرَّاء والصُّوفية والفقراء، ومن كل صِنْف، وتضرب الخيام في المَيدان، وينزل من القلعة بنفسه، فيقرأ القُرَّاء، ويعظ الوعَّاظ، ويمدُّ سِماطًا أوله عنده وآخره في القلعة، ويحضر الخلائق، فلا يبقى إلا مَنْ يأكل ويحمل.. الخ. "
وقد سُرَّ العلماء في عصرِهِ بما فعَلَ، وفرحوا به، وأعانوه عليه، حتى كتب له أبو الخطاب ابن دحية كتاب (التنوير في مولد البشير النذير).
فتأمَّل كيف كان يفرح المسلمون بهذه الذكرى النبوية المشَّرفة، وتأمَّل كيف وجَّهَ أهلُ العلم المسلمين إلى إحياء هذه الذكرى بالفضائل والقربات، وإظهار الشكر لله تعالى على نِعمَتِهِ وفضلِهِ، وتأمَّل كيف درَجَ المسلمون على الاحتفاء والاحتفال بالميلاد النبوي الشريف، علماؤهم، وعامَّتُهُم، وملوكُهم، في هذا الشهر العظيم، وفي هذه الذكرى الشريفة؛ التي منَّ الله تعالى علينا فيها بميلاد شمس الهداية، التي أزاحت عنَّا ظلامَ الضلال والتّيهِ والعنَتْ..
۞ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞

والحمد لله رب العالمين.

بقلم/ هشام محمود الأزهري